مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العـدد 02 –السنة 2024 ص ص 425–448
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

الاحتكاك اللغوي عند الجاحظ – صوره وآثاره .

The linguistic friction at Al-Jahiz Features and effects

تاريخ الاستلام: 2023/01/12 تاريخ القبول: 2024/01/31 تاريخ النشر: 2024/02/01

أ. نور الدين بورزان [*1]

جـــامعة محمد لمين دباغين – سطيف (الجزائر)

Email : nouredineaboumohamed@gmail.com

د. صلاح الدين رزال [2]

جـــامعة محمد لمين دباغين – سطيف (الجزائر)

Email : salahzaral@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة إثبات أسبقية الدرس اللغوي القديم إلى كثير من القضايا والمسائل التي يثيرها علم اللغة الحديث، ولعل من تلك القضايا ظاهرة احتكاك اللغات وتفاعلها، وكذا مسألة تأثير لغة على أخرى أو تأثر إحداهما بأخرى، وذلك من خلال ما بثه الجاحظ في ثنايا كتبه الحافلة بمبادئ وأسس كل ما له صلة بالاحتكاك اللغوي، وما يدنو من هذا المفهوم من مصطلحات، من قبيل التفاعل اللغوي، أو الاتصال اللغوي، أو التداخل اللغوي، وغيرها.

لذا فإننا سنحاول تقديم ومضة وجيزة حول ملامح الاحتكاك اللغوي، من خلال مقولات الجاحظ وتحليلها، ومن ثم محاولة تحديد بعض صوره، وكذا الوقوف على آثاره وبعض النتائج التي تمخض عنها.كما سنحاول تتبع منهج الجاحظ في عرضه لهذه المسألة، إذ من الضروري لكل من يخوض غمار تفاعل اللغات فيما بينها، أن يكون عارفا بخبايا الألسن على اختلاف عاداتها وخصائصها النطقية، حتى يتمكن من معرفة الأصيل من الدخيل، وتمييز المـُعرَب من الملحون.

الكلمات المفتاحية: الاحتكاك اللغوي، الأعاجم، الأعراب، اللحن، اللكنة.

Abstract:

This research paper seeks to trying to prove the primacy of the ancient linguistic lesson to many of the matters and issues raised by modern linguistics, and perhaps among those issues is the phenomenon of language contact and interaction, as well as the issue of the impact of one language on another or the influence of one of them on another, through what Al-Jahiz broadcast in the folds of his books which are rich of the principles and bases of everything related to the linguistic friction, and the terminology approaching this concept, such as linguistic interaction, linguistic communication, or linguistic interference, and others.

Therefore, we as standing on some of its effects. We will also try to follow Al-Jahiz's approach in his presentation of this issue, as it is necessary for every student who engages in this knowledge right to have a scientific method, in addition to possessing his linguistic smartness that qualifies him to be familiar will try to present a brief glimpse into the features of the linguistic friction, through Al-Jahiz's sayings and their analysis, and then try to identify some of its forms, as well with the mysteries of the tongues with their different habits and verbal characteristics, so as to enable him distinguishing the Arab from the non-Arab, knowing the authentic from the intruder, and distinguishing the right speech from the bad.

Keywords*: The linguistic friction , non-Arabs, Arabs, Ellahn - Accent.*

[*] المؤلف المرسل

1. المقدمة:

اللغة كائن يتسم بالتجدد، ميال إلى التغير، سواء خلال الزمان، أو عبر المكان، فيعيش مؤثرا حينا، ومتأثرا أحيانا أخرى، استجابة لما تمليه عوامل مختلفة، والتي لا تعدو أن تكون اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية أو دينية، كما حصرها أهل الاختصاص.

وبما أن الإنسان يتفاعل مع أخيه الإنسان، من خلال تلك العلاقات التي تفرضها عليه تلك العوامل السابقة أو غيرها، فإن اللغة بدورها تتفاعل مع غيرها من اللغات التي قد تشبهها في الأصل، أو تجاورها جغرافيا، وهذا ما يؤدي حتما إلى احتكاكها ببعضها وتداخلها وتفاعلها فيما بينها، فيحدث بينها ما يحدث بين الجماعات الناطقة المرتبطة فيما بينها بروابط الحضارة والتجارة، وشتى مصالح الحياة، وبذا فإن اللغة النافذة تسعى إلى بسط نفوذها على رقعة أوسع من الجماعة الكلامية، لتحكم سيطرتها على مثيلاتها من اللغات، من خلال فرض مستويات لغوية منها، أو لتضمن –على الأقل– بقاءها.

وتؤكد الحقائق التاريخية أن لغات معينة كانت في حقب زمنية غابرة منتشرة بشكل واسع، ثم سرعان ما اختفت من الوجود، وبادت معالمها، ولم يبق منها سوى بعض النصوص الكتابية، وكلمات قليلة، على غرار اللغة اللاتينية القديمة، واللغة الآرامية، واللغة الآشورية، وغيرها من اللغات الميتة التي لم تعد الألسن تتداولها اليوم.

وأن هناك لغات أخرى أظهرت قوة جبارة في التوسع والامتصاص، من خلال استمالة أعداد هائلة من المتكلمين الجدد الذين لم يسبق استعمالهم لها، كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية وغيرها من اللغات الحية التي لقيت رواجا واسعا في أوساط المتكلمين.

وبما أن اللغة العربية جزء لا يتجزأ من التراث اللغوي الإنساني، فقد أتيحت لها قبل الإسلام وبعده فرص كثيرة للاحتكاك بلغات أخرى من فصيلتها، ومن غير فصيلتها من جهة، والاحتكاك بلهجاتها المختلفة من جهة أخرى.

ولعل من دواعي ذلك الاحتكاك تلك العلاقات المادية والحضارية والثقافية والجغرافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية التي توثقت بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال، واليمنيين في الجنوب منذ أقدم العصور قبل الإسلام.

وقد نشط هذا الاحتكاك بعد الإسلام، لما امتزج العرب بكثير من الشعوب، كالأقباط والبرابرة والفرس والمغول والقوط؛ مما أدى إلى ظهور ما يسمى بظاهرة الاحتكاك اللغوي.

فإذا أتيح للعربية أن تلتقي مع هذا العدد من اللغات منذ زمن بعيد، فإننا سنكتفي في هذه الورقة البحثية بما عرضه الجاحظ منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، والنصف الأول من القرن الثالث الهجري من أفكار وخواطر حول ظاهرة احتكاك اللغات، وما يتصل بهذه الظاهرة من مفاهيم من قبيل التفاعل والتداخل اللغويين، وما أفرزه تفاعل بين اللغة العربية ولهجاتها من جانب، وتفاعلها مع الفارسية والنبطية والسندية من جانب آخر، لندرك طبيعة هذا الاحتكاك، وحظ اللغة العربية منه، ومدى إسهامه في تطور اللسان العربي.

فما مفهوم ظاهرة الاحتكاك اللغوي؟ وكيف عالجها الجاحظ؟ وماهي أهم تجلياتها عنده؟ وما النتائج المترتبة عنها؟

2. مفهوم الاحتكاك اللغوي:

يقصد باحتكاك اللغات أو تفاعل اللغات ذلك الاتصال الذي يحدث بين لغات أو لهجات معينة نتيجة لاتصال الجماعات الناطقة بها بعضها ببعض، فيحدث

بينها تأثير وتأثر في مستوى الصوت أو الصرف أو التركيب أو الدلالة، إذ قد "يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء، وتسعى وراء الغلبة والسيطرة" (وافي، 2004، ص 229).

وينتج عن هذه الظاهرة تداخل لغوي (Linguistic interference)، والذي يحصل عندما تتفاعل لغتان، "فتؤثر إحداهما في الأخرى تأثيرا يتباين من شخص لآخر. تتدخل أصوات اللغة الأولى في أصوات اللغة الثانية، ويتدخل صرف اللغة الأولى في صرف اللغة الثانية، وتتدخل مفردات اللغة الأولى في مفردات اللغة الثانية، وتتدخل معاني اللغة الأولى في معاني اللغة الثانية، كما أن اللغة الثانية تتدخل في اللغة الأولى في جميع المجالات، وهكذا يحصل تداخل متبادل، وهذا التداخل يحدث في عقل المتكلم ويظهر في أدائه اللغوي" (الخولي، 2000، ص 173).

يتضح من خلال هذا النص أن من نتائج الاحتكاك تأثير نمط لغوي على آخر أو العكس، فيحدث هذا التداخل بينهما، وهو ما يؤكده "دي بوا" بقوله: "نقول أن هناك تداخلا إذا استعمل متكلم ثنائي اللغة نحو لغة هدف "أ" سمة صوتية، صرفية، معجمية، أو تركيبية تكون من خصائص اللغة "ب" " (autre, 2012, p. 252)، وهذا ما يتفق مع الفكرة القائلة بأنه "تأثير اللغة الأم في اللغة التي يتعلمها المرء". (مذكور، 1987، ص 35).

أو هو "تلك المشكلات اللغوية أو التداخلات اللغوية التي تظهر عند تعلمنا اللغة الثانية، لأن كلا منا عندما يكتسب اللغة إنما يكتسبها دون معرفة لأنماط لغوية سابقة، يمكن أن تتداخل مع اللغة التي نتعلمها لأول مرة" (المسدي، 1986، ص 74).

فمن خلال التعاريف السابقة يتضح أن مصطلح الاحتكاك اللغوي قد يلتبس مع مسميات أخرى كالتداخل اللغوي، والصراع اللغوي، ومزج اللغات، والتلاسن، وغيرها

من المصطلحات، حيث لا يكاد يجمع الباحثون على مصطلح دقيق حول هذا المفهوم، في ظل فوضى المصطلح الذي تشهده ساحة الدراسات اللغوية الحديثة.

1.2 ظاهرة الاحتكاك اللغوي عند الجاحظ:

"لقد أصبح من المسلّم به عند اللغويين أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى صراع بينها، إن قليلا وإن كثيرا". (التواب، المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي، 1997، ص 172).

فإذا كان مفهوم الاحتكاك اللغوي وتأثير اللغة في الأخرى عن طريق اتصال اللغات واحتكاكها ببعضها، قد ظهر في النصف الأول من القرن العشرين متزامنا مع ظهور المذهب الاجتماعي في دراسة وتحليل اللغة، من خلال علاقتها بالمجتمع (القاسمي، 2010، ص 77)؛ فإن الجاحظ (ت 255هـ) قد عبر عن هذه الفكرة في القرن الثالث الهجري في إطار ما أسماه بـ "الضيم" الذي يلحقه متكلم اللغة الثانية على اللغة الأم، أو العكس، وذلك في قوله: "ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتعترض عليها. وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليها، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء" (الجاحظ، الحيوان، 1965، ص 368).

بين فهذا نص صريح عن ثنائي اللغة، يؤكد فيه الجاحظ تأثير إحدى اللغتين على الأخرى، حيث لا يكون اللسان على درجة واحدة من إتقان اللغتين معا

كتمكنه من إتقان اللغة الواحدة، حيث يكون التداخل عندما يستعمل المتكلم ثنائي اللغة في لغته الأولى "خاصة أو سمة صوتية أو صرفية أو نحوية مختصة باللغة الثانية" (مبارك، 1995، ص 82).

فقد أدرك الجاحظ هذه الظاهرة من خلال أعمال الترجمة من اللغات الأجنبية التي قام بها معاصروه، حين ترجموا من اليونانية –على وجه الخصوص– إلى العربية، ولهذا فقد وضع شروطا يجب توفرها فيمن يمارس الترجمة، ولعل من أبرزها التمكن التام من اللغتين الأصل والهدف، فعليه "أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها" (الجاحظ، الحيوان، 1965، ص 82).

فتلك المستويات اللغوية لابد لها أن تظهر على لسان متكلم اللغة الثانية، تحت تأثير السمات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للغة المنشأ، إذ "قد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه، ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم الخرساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه، وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خرساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز". (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 69)

فهذا الكلام يؤكد استعصاء محاكاة أصوات وتراكيب اللغة الثانية، ذلك لأن مخارج أصوات اللغة الأم ونحوها تؤثر على طريقة النطق بمستوى لغوي جديد.

غير أن الجاحظ يؤكد في نص آخر على قدرة متكلم اللغة الثانية على إتقانها بنفس الصورة التي يتحدث بها اللغة الأم، فيقول: "ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئا، وكذلك تكون حكايته للخرساني، والأهوازي، والزنجي، والسندي، والأجناس، وغير ذلك. حتى تجده كأنه أطبع منهم، فإذا ما حكى كلام الفأفاء، فقد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 69).

يبين النص السابق أن الإنسان مهيأ لإتقان لغات العالم على اختلاف مستوياتها، لأنه مزود بجهاز نطق يمكنه من محاكاة ألسنة الأمم، حتى أنك لا تكاد تميز بين لسان وآخر عند المتكلم الواحد، حيث يتحدث بلغة سليمة من التداخل في جانب من الجوانب، وفي هذا الشأن يستطرد الجاحظ: "وإنما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم، لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة، فبطول استعمال التكلف زلت جوارحه لذلك" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 70).

ويؤكد الجاحظ كلامه القاضي باستطاعة اللسان البشري إتقان اللغات على اختلاف مستوياتها، حين يسوق لنا مثالا عن حالة موسى بن سيار الأسواري، وهو أحد القصاص من أهل البصرة، الذي كان "يقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحّول وجهه إلى الفرس، فيفسّرها بالفارسية، فلا يدرى بأّي لسان هو أبين" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 368).

فالممارسة والمران، وترويض اللّسان على الصفات النّطقية للغة الجديدة عامل أساس في إتقانها، وبانتفاء هذا العامل لزم اللسان الصفات النطقية للغة الأم، وهذا ما يؤكده الجاحظ بقوله: "ومن ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصورا بعادة المنشأ، على الشكل الذي لم يزل فيه، وهذه القضية مقصورة على الجملة من مخارج الألفاظ، وصور الحركات والسكون" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 70).

فمتكلم اللغة حين لا يكلّف نفسه عناء تعويد لسانه على العادات النطقية للغة الهدف، فإنه يبقى ملازما لخصائص اللغة الأصل ولغة المنشأ، ويظهر أثر النشأة اللغوية الأولى في كلامه، ويقدم لنا الجاحظ نموذجا عن هذه الحالة، فيقول: "ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام في عليا تميم،

وفي سفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاما، وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي يجعل الزاي سينا، فإذا أراد أن يقول: زورق قال: سورق، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مشمعل، قال مشمئل" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 71/70).

2.2 اللغة العربية وحظها من ظاهرة الاحتكاك اللغوي:

أثار الجاحظ في كثير من المواضع مسألة احتكاك اللغة العربية مع اللغات الأخرى، ولم يغفل عن فكرة التداخل بين اللغات نتيجة عامل التأثير والتأثر، ولم يكن هذا العالم ليثير هذه المسألة إلا بعدما خبره من عادات كلامية وصفات نطقية كانت تميز طبقات المجتمع في عصره، وخاصة في البصرة، وذلك حين تسربت إلى العربية مئات الألفاظ الأجنبية بحكم اتصال العرب بغيرهم، واتصال غيرهم بهم، فبدا اختلاف جديد بين لهجات الأمصار الإسلامية علله الجاحظ بقوله: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون بلغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك نجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة و الشام ومصر" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 18).

فهذا تأكيد لحقيقة تأثر اللهجات العربية بلغة النازلين بالأمصار العربية "لأن العربية لم تنتشر في البلاد المفتوحة أو الأمصار وفق مستوى لغوي متجانس، وإنما تأثرت باللغات الأصلية لأهل البلاد وكذا باللهجات العربية أو الإقليمية للقبائل العربية التي فتحت الأمصار" (خليل، 2003، ص 175).

وبما ان الاحتكاك اللغوي يؤدي إلى التداخل والتداخل يفضي إلى التغير فإنه "من المبادئ الأساسية التي يؤمن بها الجاحظ أيضا أن اللغة بما لها من صلة بالمجتمع خاضعة لمبدأ التغير اللغوي (Change Language)، فاللغة عنده لا تثبت على حال، وإنما تتغير طبقا لحاجات المتكلمين بها سواء بتأثيرات داخلية في المجتمع أو خارجة عنه، والدليل على ذلك تغير اللغة العربية وإسقاطها لكثير من الألفاظ الجاهلية التي لم

تعد تعبر عن المفاهيم الإسلامية أو التي لا تتوافق مع الفكر الإسلامي" (خليل، 2003، ص 172).

3. صور الاحتكاك اللغوي عند الجاحظ:

قد يبدو من خلال اطلاعنا الخاطف على بعض ما أورده الجاحظ حول ظاهرة الاحتكاك اللغوي أن لها صورتين بارزتين، إحداهما تعكس صورة الاحتكاك الداخلي بين العربية ولهجاتها، والأخرى تمثل واقع الاحتكاك الخارجي بين العربية واللغات الأخرى.

1.3 الاحتكاك الداخلي:

دخلت العربية في صراع داخلي مع نفسها، حين تعددت لهجاتها بفعل اختلاف البيئات العربية، وما صاحبه من اتجاه الألسنة إلى الاختلاف بين القبائل في النطق، وقد وصل هذا الخلف بتفرع القبائل حتى وصل إلى الألفاظ، ومعانيها فكان ذلك إيذانا بتعدد اللغة المشتركة إلى لهجات تبتعد عن بعضها بظواهر عديدة منها الصوتي، ومنها الدلالي، ومنها التركيبي" (الخولي، 2000، ص 134/ 135).

ونتيجة لهذا الصراع كتب للغة قريش التغلب آخر الأمر لأسباب دينية بالدرجة الأولى، وسياسية واقتصادية بالدرجة الثانية، وقد أورد الجاحظ نموذجا من ذلك الصراع في شكل حوار جرى بين أهل مكة، ومُحَّد بن المناذر، وهو من أهل البصرة بالعراق، وشاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وإمام فيها، فقال:"قال أهل مكة لمحمد بن المناذر ليست لكم معاشر أهل أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم، أنتم تسمون القدر برمة، وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل "وجفان كالجواب وقدور

راسيات"، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية، وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن نسميه غرفة، ونجمعها على غرفات وغرف، وقال الله تبارك وتعالى: "غرف من فوقها غرف مبنية"، وقال الله عز وجل: "وهم في الغرفات آمنون"، وأنتم تسمون الطلع الكافور والإغريض، ونحن نسميه الطلح، وقال الله تبارك وتعالى: "ونخل طلعها هضيم". فعدّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 18/ 19).

فهذه مقابلة صريحة بين لغة أهل مكة ولغة أهل البصرة، التي احتج لها مُحَمَّد بن المناذر بمحاكاتها لألفاظ القرآن وهو ما يجعلها مرجعا وموردا لغويا يؤتمّ به.

وكان من نتائج احتكاك اللغة العربية بلهجاتها أن تفيد من أمور كثيرة، حيث "غنيت بالمترادف والمشترك والمتضاد، وغيرها من الأمور التي كان لها كبير الأثر في نمو اللغة وسعتها" (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1998، ص 135).

2.3 الاحتكاك الخارجي:

لما انطلق العرب مبشرين بالإسلام، وخالطوا أمما كثيرة تكونت في الأمصار والبوادي لغات جديدة تختلف عن لغتهم الأم حين "تسربت إلى اللغة العربية مئات الألفاظ الأجنبية بحكم اتصال العرب بغيرهم، واتصال غيرهم بهم، فبدا اختلاف جديد بين لهجات الأمصار الإسلامية" (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1998، ص 136).

ولما كان الاحتكاك بين اللغات نتيجة لازمة عن الاحتكاك بين المجتمعات، وما يكتنفها من مقومات حضارية واتجاهات فكرية وأنشطة اجتماعية أو اقتصادية، فقد تأثرت العربية بدخول عدد لا بأس به من المفردات الفارسية واليونانية والتركية، وبلغت حركة التبادل اللغوي أقصى صورها بين العربية والفارسية، خاصة ما يتصل منه بنواح مادية أو علمية أو بنظم إدارية امتاز بها الفرس آنذاك (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1998، ص 130).

ولم تكن هذه المسألة غائبة عن بديهة الجاحظ الذي كان يسجل ملاحظاته، التي تنم عن خبرة بمدى اتصال البنية اللغوية بالبنية الاجتماعية والجماعة الكلامية، فيقول في هذا الشأن: "ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز، ويسمون السميط الرزدق، ويسمون المصوص المزور، ويسمون الشطرمج الأشترنج في غير ذلك من الأسماء، وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 19).

ويقُدّر الجاحظ أنه لو نزل العرب ببلاد غيرهم، وحدث هذا الاتصال الاجتماعي واللغوي لحصل هذا التداخل، لأن "احتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها" (فندريس، 2014، ص 348)، فيقول: "ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط، وأقصى بلاد العرب" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 19).

ولعل من النماذج التي يوردها الجاحظ حول فكرة التداخل بين العربية والفارسية، قوله: "ويسمي أهل الكوفة الحوك: الباذورج، والباذورج بالفارسية، والحوك كلمة عربية، وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها: مربعة، ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك والجهارسوك بالفارسية، ويسمون السوق والسويقة (وازار) والوازار بالفارسية، ويسمون القثاء: خيارا والخيار بالفارسية، ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 20).

4. آثار الاحتكاك اللغوي عند الجاحظ:

كانت لغة العرب الفصحاء والأعراب الخلص قبل الإسلام سليمة إعرابية لا تعتريها الأسقام، ولا تشوبها العلل، ذلك لأنها كانت بمعزل عن أي مؤثر خارجي

جدير بأن يخل بمستوى من مستوياتها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية، غير أنه مع مجيء الإسلام أتيح للعرب أن يتصلوا بغيرهم من الأمم في هذا العهد، "وبما أن اللغات يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك، فالألفاظ كالناس تنتقل كما ينتقلون وتهاجر كما يهاجرون" (أمين، 1961، ص 373).

فاللغة وألفاظها في حركة دائمة، فهي ترحل من إقليم إلى إقليم برحيل أهلها واتصالهم بغيرهم من الأفراد والجماعات، فيؤدي "انتقالها وهجرتها واحتكاكها مع غيرها إلى تسرب الألفاظ وأساليب كثيرة منها أو إليها، وقد يؤدي صراعها مع غيرها إلى انتصارها أو انكسارها، ومن ثم موتها واندثارها" (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1998، ص 127).

ولعل من الآثار التي طرأت على العربية بعد احتكاكها بغيرها من اللغات الأخرى:

1.4 فشو اللحن وظهور اللكنة:

اتخذ اللحن منذ القديم معاني كثيرة غير أنه لم يخرج عن معاني اللهجة أو الخطأ في الإعراب، أو الغناء أو الفطنة أو التعريض أو المعنى، فهو بذلك مصطلح عام (Collective Terme) ، وهو من المصطلحات التي استوقفت الجاحظ (الجاحظ، البيان والتبيين)، حيث خصه باهتمام بلغ اهتمامه بالبيان، فبيّن أنه يدل على معان كثيرة، "غير أنه ينصرف عنده كمصطلح لغوي) (Linguistique Terme) للدلالة على الخروج عن أوضاع العربية البدوية أو عربية العرب الخلص، سواء في الصوت أو الصرف أو النحو أو الدلالة أو فيها جميعا" (خليل، 2003، ص 175).

فهو إذن "مخالفة العربية الفصحى في الأصوات أو في الصيغ أو في تركيب الجملة وحركات الإعراب أو في دلالة الألفاظ، وهذا هو ما كان يعنيه كل من ألّف

في لحن العاّمة من القدامى والمحدثين، ويظهر ذلك في الأمثلة التي عالجوها في كتبهم" (التواب، لحن العوام، 2000، ص 13).

فالمتفق عليه إذن لا ينأى عن معنى الخروج عن مألوف كلام العرب صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة، وبما أن هذه الظاهرة مست هذه المستويات من اللغة، فسنحاول التمثيل لكل مستوى، حسب ما ورد في كتب الجاحظ.

كما أدى هذا الامتزاج الاجتماعي بين العرب وغيرهم من الشعوب المجاورة لهم، والذي نتج عنه تفاعل لغوي إلى ظهور ما يسمى بلكنة الأعاجم، حيث أقر الجاحظ بهذه الظاهرة في كتابه البيان والتبيين، وقدم لنا تعريفا لها، فقال: "يقال في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه الحالة الأولى إلى المخرج الأول" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 39/ 40).

فهذا يعني تأثير العادات النطقية للغة الأولى على اللغة الجديدة، فالمتكلم متعّود على نطق أصوات وتراكيب خاصة باللغة "أ"، فيتحول لسانه إلى لغة جديدة "ب"، والتي لها خصوصياتها الصوتية والتركيبية والصرفية، فقد يبدو النسق الجديد غريبا عن متكلم اللغة، لأن لسانه لم يجر على هذا النسق، وحين يصعب أو يتعذر عليه التحكم في الجانب الصوتي بدرجة أكبر ، فإنه يلجأ إلى استبدالها بأنساق أخرى من لغته، حيث إن "لكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها، كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرامقة للعين" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 64). وقد أورد الجاحظ في بيانه إقرار الأصمعي بأنه: "ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان ذال".(الجاحظ، البيان والتبيين، ص 65)

فهذا ما يجعل الأعاجم حين يتحدثون بلسان عربي يستعينون بأصوات من لغتهم سعيا منهم لتعويض الحروف العربية التي لا أصل لها في لغتهم، كالذال والجيم

والعين والثاء والشين...وهذا ما أدى إلى ظهور مصطلح العربية الهجين Pedgin) Arabic)، والتي تمخضت عن صراع لغوي طويل خاضته العربية مع ألسنة الأعاجم من الخاصة والعامة، حتى تم التعريب (خليل، 2003، ص 193).

وإذا كان مصطلحا اللحن واللكنة متقاربين في المعنى، فإننا نستطيع التمييز بينهما، حيث يدلّ لأول على الخروج على أوضاع العربية البدوية أو عربية العرب الخلص، وهذا الأمر قد يأتي من العرب أو من العجم على وجه سواء، في مقابل الثاني، الذي يدل عند الجاحظ على طريقة غير العرب، أو الأعاجم على وجه الخصوص دون غيرهم –سواء من طبقة الخاصة كالعلماء والشعراء والرؤساء أم من طبقة العامة منهم– في نطق العرب واستخدامها (خليل، 2003، ص 188/ 189).

وقد مس اللحن مستويات اللغة المختلفة، صوتها وصرفها، ونحوها، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

1.1.4 مظاهر اللحن في المستوى الصوتي:

عرض الجاحظ جملة من نماذج اللحن في مستوى الصوت، ويذكر أن هذا اللون من اللحن قد اختص به الموالي والأعاجم الذين اختلطوا بالعرب فلم يتمكنوا من محاكاة الأصوات العربية بالطريقة المثلى، فقال: "وزعم يزيد مولى ابن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال: يا ضمياء بالضاد، فقال ابن المقفع: قل ياظمياء، فناداها: يا ضمياء، فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أوثلاثا قال هي جاريتي أو جاريتك؟" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 211).

فالمتكلم أشكل عليه التمييز بين الظاء والضاد لأن لسانه لم يجر على الخصائص الصوتية للغة العربية.

وبما أن الأعاجم لم يتخلصوا من الصفات الصوتية للغاتهم السابقة، فإنهم كثيرا ما يُبدلون أصواتا عربية بأصوات لغتهم الأم، فالسندي مثلا يبدل الجيم زايا، فإذا أراد

أن يقول (جرادة)، قال (زرادة) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 72). أو ذالا، فإن أراد أن يقول (جمل) قال (ذمل) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 74)، كما يجعل الشين سينا، فإن أراد (الشر) قال (السر) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 74)، والنبطي يجعل الزاي سينا، فإذا أراد أن يقول (زورق) قال (سورق) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 146). كما يجعل العين همزة، فإن أراد أن يقول مشمعل، قال مشمئل (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 146). ويبدل الحاء هاء، فإن أراد أن يقول: (الحاصل)، قال: (الهاصل) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 72) ، والفارسي كثيرا ما يجعل السين شينا، والطاء تاء، فإن أراد أن يقول (سلطان)، قال (شلتان) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 71). ومن الفرس من يجعل القاف كافا، فإن أراد أن يقول (قلت)، قال (كلت) (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 72/ 73).

ويمكننا من خلال النماذج التي رصدها لنا الجاحظ أن نلخص تلك التداخلات الصوتية بين لغات السند والنبط والفرس واللغة العربية في الجدول التالي:

المتكلم	الصوت الأصلي في اللغة العربية	الصوت الجديد
السندي	- الجيم	- الذال– الزاي.
النبطي	- الحاء. - الزاي. - العين.	- الهاء. - السين. - الهمزة.
الفارسي	- الطاء. - السين. - القاف.	- التاء. - السين. - الكاف.

فعلى تلك الصورة بيّن الجاحظ أثر هذا الامتزاج الاجتماعي الذي تبعه احتكاك لغوي بين العرب والأعاجم على المستوى الفونولوجي، حيث صعب على الأعجمي أن ينتقل إلى عادات صوتية جديدة، والتخلص مما ألفه جهاز نطقه من عادات لغته الأم، حيث أصبحت هذه العادات الصوتية علامات تعرف بها هوية

المتكلم، وهو ما يؤكده الجاحظ في قوله: "قد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه، ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم الخرساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه، وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خرساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز" (الجاحظ، البيان والتبيين).

2.1.4 مظاهر اللحن في المستوى الصرفي:

تتجلى بعض ملامح اللحن الحاصل في المستوى الصرفي للغة العربية، من خلال بعض النماذج التي رصدها لنا الجاحظ، ولعل ما أصاب فساد الألسن في مجال الصرف ما نجده في كلام تاجر الدواب الخرساني، حيث يقول الجاحظ: "وقد فهمنا معنى قول أبي الجهير الخرساني النخاس الذي قال له الحجاج: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ قال: (شريكاننا في هوازنا، وشريكننا في مداينها، وكما تجيء تكون)، قال الحجاج: ماذا تقول ويلك؟ فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطباء وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول: شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب، فنحن نبيعها على وجوهها" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 161/ 162).

ويحلل حلمي خليل كلام الخرساني من الجانب الصرفي فيقول أن الرجل "قد استخدم العربية في أوضاع تراكيب متأثرة بلغته الأصلية، فقال: (شريكننا) بدلا من (شركائي)، أو(شركاؤنا) وكلاهما مركب إضافي مكون من شركاء + ضمير المتكلم (الياء) في شركائي، أو شركاء + نون الجمع في شركاؤنا" (خليل، 2003، ص 192). ثم يقول حلمي خليل: "ولكن التاجر فيما يبدو جاء بمفرد كلمة (شركاء)، وهو (شريك)، ثم أضاف إليها ضمير المتكلم (أنا)، أي شريك + أنا، ثم لم يستطع نطق الهمزة فأسقطها فأصبحت شريك + ن، ثم أضاف نونا أخرى بدلا من الهمزة، فنطق (شريكننا)، وهناك احتمال آخر، وهو أن التاجر الخرساني، ربما يكون أضاف للمفرد

العربي (شريك) المقطع (آن) في اللغة الفارسية، وبذلك نشأ هذا التركيب الهجين كلمة عربية ونهاية فارسية" (خليل، 2003، ص 192).

كما يمكن تعليل "السبب الذي جعل الخرساني ينطق بصيغة كلمة (شريكننا) بصيغة المفرد، وهو يريد شركائي، هو جهله بصيغة جمع التكسير شركاء" (خليل، 2003، ص 200).

ويضرب الجاحظ مثالا آخر عن اللحن الواقع على المستوى الصرفي، فيقول: "قالت أم لجرير الخطفي لبعض ولدها: "وقع الجردان في عجان أمكم"، (فأبدلت الذال من الجردان دالا، وضمت الجيم، وجعلت العجين عجانا)" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 73).

وما يهمنا هنا هو كلمة (عجين) التي ترد على وزن فعيل، فجاءت على وزن فِعال، حيث نطقت بها المرأة على نحو أقرب الصيغ الفارسية وأشبهها (خليل، 2003، ص 200).

وفي مجال التصغير، كان أهل البصرة يحملون في لهجاتهم سمات فارسية، فكانوا إذا سموا إنسانا بفيل، وأرادوا تصغيره، قالوا (فيلويه)، كما يجعلون عمرا (عمرويه)، ومحمّدا (حمدويه) (الجاحظ، الحيوان، 1965، ص 85). فهذه الطريقة تتنافى مع عملية التصغير في اللغة العربية التي تصغر الاسم الثلاثي على وزن " فُعَيْل" والرباعي على وزن"فُعيعِل" والخماسي والسداسي على وزن "فُعيعيل" أو "فُعيعل".

3.1.4 مظاهر اللحن في المستوى النحوي:

أشار الجاحظ في مؤلفاته إلى جملة من المواقف اللغوية التي خرج فيها أصحابها عن مألوف كلام العرب في شقه النحوي، فقد جرت هذه الظاهرة على ألسنة الأعاجم والعرب على حد سواء، لأن "نزوح الكثير من الأعاجم إلى الأمصار العربية سواء قبل الفتح الإسلامي، أو بعده كان يضطرهم إلى تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة التفاهم والتعامل" (عويس، 1977، ص 238/ 239). فظهر ما يسمى بالفساد اللغوي خاصة في عصور الإسلام الأولى، "ذلك أن العرب في جاهليتهم لم يكن الخلاف بينهم في

الإعراب وانحراف الألسنة سوى مظهر من مظاهر تباين اللهجات العربية، أما ما طرأ على العربية بذلك من خطأ في الإعراب مصاحبا لحركة الفتوحات الإسلامية منذ عهدها الأول". (عويس، 1977، ص 152).

فالمقبلون على تعلم اللغة العربية لم يكونوا قد امتلكوا ناصية اللغة بصورة سليمة، فكانوا يحررون الرسائل بلغة ركيكة، (الرافعي، ص 240)، فمزجوا عاداتهم اللغوية بتراكيب اللغة الجديدة، وكل ذلك هو نتاج التأثير والتأثر، وهو مظهر من مظاهر الامتزاج الحضاري واللغوي الذي وسم عصر الفتح الإسلامي في العراق.

وقد أشار الجاحظ إلى بعض المواقف اللغوية التي مسّ فيها اللّحن مستوى التراكيب النحوية، ويمكن تقسيم مظاهر اللحن في النحو إلى شقين، شق مسّ الإعراب والعلامة النحوية، وشق آخر مس تراكيب الجملة العربية، والتي نوضحها فيما يلي:

1.3.1.4 الإعراب والعلامات النحوية:

يروي الجاحظ أن غلاما لبشر بن مروان، دعا رجلا يسمى صالحا –وكان ذلك في حضرة عمر بن عبد العزيز– "فقال الغلام يا صالحًا، فقال بشر ألق منها ألفْ، قال عمر وأنت فزد في ألفك ألفا" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 211).

فالغلام أخطأ في إعراب المنادى المفرد العلم "صالح"، أما بشر فأخفى علامة الإعراب في كلمة "ألف".

ومن الخروج عن مألوف الإعراب أيضا ما ورد على لسان أبي حنيفة لما قيل له: "ما تقول في رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله، أتفيده به؟ قال: لا ولو ضرب رأسه بِأَبا قُبيس" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 211). فنصب بالألف ما كان حقه الجر بالياء.

والمثال نفسه يورده الجاحظ عن الوليد بن عبد الملك الذي كان لحّانا، حيث قال مّرة لأبيه: "يا أمير المؤمنين، اقتل أبي فديك" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 204)، فقد جّر بالياء ما حقه النصب بالألف.

وعن الوليد نفسه أنه قال يوما: " يا غلام رّد الفرسان الصاّدان عن الميدان" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 204)، فلحن ولم يعرب، بعد أن رفع ما هو منصوب.

2.3.1.4 طرق تركيب الجملة العربية:

يذكر الجاحظ أن خادما له يدعى نفيسا "قد أجرى الكلام العربي مجرى الكلام الفارسي، فقدّم الصفة وأضافها إلى الموصوف حين سأله الجاحظ: في أي صناعة أسلموا هذا الغلام؟" (سليم، 1989، ص 16)، "قال في أصحاب سند نعال، يريد أصحاب النعال السندية" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 27).

وقد حكى الجاحظ عن غلامه "نفيس" أنه أخطأ في تركيب بعض الجمل العربية، عندما قال لغلام آخر: "الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل! يريد: أنت أقل الناس كلهم حياء" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 26). كما قال الجاحظ للغلام ذاته: "بعثتك إلى السوق في حوائج فاشتريت مالم آمرك به، وتركت كل ما أمرتك به! قال يا مولاي: أنا ناقة وليس في ركبتي دماغ" (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 26)، فلعله يقصد: "ليس فوق رقبتي دماغ فيه عقل، أو أنا مثل الناقة ليس في رأسي عقل ولا أفهم" (خليل، 2003، ص 200).

وعلى هذا النحو قدّم لنا الجاحظ بعض الصور عن اللحن الناتج عن الاحتكاك الذي نشأ بين العربية واللغات الأخرى، وبخاصة الفارسية، في العصور الأولى من الفتوحات الإسلامية في الحاضرة العباسية.

2.4 الاقتراض والاقتباس اللغويين:

دخل المعجَم العربيَّ العديدُ من الألفاظ من لغات أخرى على سبيل الاقتراض والاقتباس اللغويين، وقد دّون الجاحظ هذه الظاهرة في بعض كتبه.

ويؤكد بعض الباحثين أن "معظم ما انتقل إلى العربية من اللغات التي احتكت بها كاليونانية والفارسية مثلا يتصل بنواح مادية أو علمية، أو بنظم إدارية امتاز بها اليونانيون والفرس آنذاك، وأخذها عنهم العرب الذين انطلقوا بعد الإسلام في رحاب

جديدة من الرقي والتقدم، ووجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدل عليها ، فاقترضوها وأدخلوها في المعجم العربي، إما بلفظها، أو بإيجاد المقابلات اللفظية العربية لها على وفق الأنظمة الصوتية والصرفية الموجودة في العربية، ومن جانب آخر منحت العربية نفسها للناطقين بغيرها فاقترضوا ما شاؤوا من ألفاظ وأساليب" (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1998، ص 130).

وإذا كان مصطلح الاقتراض اللغوي حديث العهد، فإن العرب الأقدمين اهتدوا إليه، ولكن بمسميات أخرى كالدّخيل والمعّرب والمولّد، وغيرها من المصطلحات التي حفلت بها كتب التراث اللغوي، وكلها تعبر عن نتاج التأثير والتأثر والأخذ والعطاء الذي ميز اللغات من خلال امتزاج واختلاط بعضها ببعض.

وعلى الرغم من أن العربية أعطت أكثر مما أخذت، فإن العرب قد اقتبسوا عددا من ألفاظ الأعاجم الذين نزلوا بالمدن والحواضر العربية، وقد أشرنا في السابق إلى بعض النصوص التي تبين بعض الألفاظ الفارسية التي علق بها أهل المدينة وأهل الكوفة، حين نزل بهم ناس من الفرس (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 19 /20).

ويبين الجدول التالي بعض تلك الألفاظ التي تداولها أهل المدينة، وما قابلها من الكلمات العربية (كوراني، 2013، ص 76):

الكلمات الأعجمية المقترضة	الكلمات العربية
الخربز	البطيخ
الرزدق	السميط
المزور	المصوص
الأشترنج	الشطرنج

وهذا مخطط آخر للكلمات الأعجمية التي تداولها أهل الكوفة، وما قابلها من الكلمات العربية (كوراني، 2013، ص 76/ 77):

الكلمات الأعجمية المقترضة	الكلمات العربية
بال	المسحاة
الباذورج	الحوك
الجهارسوك	مربعة
الخيار	القثاء
ويذي	المجذوم

فالجدول السابق يعرض لنا بعض الألفاظ الأعجمية التي أصبح العربي يستخدمها في حديثه، "ويرى الجاحظ أن هذا الاقتباس كان نتيجة لاحتكاك أهل الكوفة بالأعاجم بسبب القرب الجغرافي للكوفة من بلاد النبط، وبالتالي نشوء العلاقات التجارية أو الاجتماعية بينهما، والشيء نفسه يكون لأهل البصرة لو ابتعدوا عن الديار العربية" (كوراني، 2013، ص 77).

ويذكر الجاحظ في بيانه أنه من الشعراء العرب من كان يقتبس اللفظ الفارسي، ويتملح بإدخاله في شعره، كتلك الأبيات للشاعر أسود بن أبي كريمة، حيث يقول (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 143/ 144):

لزم الغرام ثوبتي — بكرت يوم سبت
فتمايلت عليتهم — ميل زنكي بمستي
قد حسا الداذي صرفا — أو عقارا بايخست
ثم كفتم دورباد — ويحكم آن خركفت
إن جلدي ربغته — أهل صنعاء بجفت
وأبو عمرة عندي — آن كوربد لمست
جالس أندر بكتاد — أيا عمد ببهشت.

فقد جعل الشاعر كلامه مزيجا بين العربية والفارسية، "فأجرى في أبياته السابقة اثنتي عشرة كلمة فارسية منها ثلاثة أسماء هي: (مستي) بمعنى: السُّكر وإدمان الشراب

و(بايخست) بمعني الشراب على الريق، و (جفت) بمعنى: ثمرة، وفعلان هما: (كفتم) بمعنى قلتم، (كفت) بمعنى: قلت، واسم إشارة هو (آن) بمعنى هذا، وصفتان هما(خر) بمعنى: بليد أحمق، و(كوربد) بمعنى: أعمى وأعور، وحرف جر مو (اندر) بمعنى: في، ونهي هو (بكتاد) بمعنى لا تجعل، وجار ومجرور هما (بهشت) بمعنى في الجنة أسلوب استغراب هو (دورباد) بمعنى: معاذ الله" (سليم، 1989، ص 17).

وكذلك فعل اليماني الشاعر عندما مدح الخليفة هارون الرشيد، فأدخل في أرجوزته بعض الكلمات الفارسية، فقال: (الجاحظ، البيان والتبيين، ص 142)

من يلقه من بطل مسترند   في زعفة محكمة بالسرد

تجول بين رأسه والكرد

لما هوى بين غياض الأسد   وصار بين كفّ الهزبر الورد

آلى بذوق الدهر آب سرد

فقد اقتبس الشاعر من الفارسية كلمتي (الكرد) التي تعني: العنق، و(آب سرد) التي تعني: الماء، ومزج الفارسي بالعربي في كلامه، وربما لجأ إلى ذلك استملاحا لبعض ألفاظ الفرس، أو تأثرا بحركة الاقتباس من لغات الأعاجم، تلك الحركة التي نشطت "بعد الفتوح الإسلامية، وترجمة علوم الأمم المغلوبة وآدابها، وبعد الاحتكاك والامتزاج بين العرب وتلك الأمم داخل المجتمع العباسي" (كوراني، 2013، ص 77).

ولنا في كتاب البخلاء نماذج كثيرة عن تلك الألفاظ الأعجمية التي يستخدمها متحدث اللغة العربية في حديثه، ومن ذلك ما أورده الجاحظ في قصص أهل خراسان وأهل مرو، فقد استخدمت كلمة "الطباهج" (الجاحظ، البخلاء، ص 23)، بفتح الطاء للتعبير عن اللحم المشّرِ بتشديد الطاء، وفي قصة زبيدة بن حميد الذي لجأ إلى استخدام كلمة "الجوارشن"، وهي كلمة فارسية تعني الدواء (الجاحظ، البخلاء، ص 35). وفي القصة ذاتها يستخدم بعض الشخصيات كلمتي "الخوان" بضم الخاء، وهو ما يؤكل عليه، و"التخت" الذي يعني الوعاء الذي تصان فيه الثياب، و"النرد" الذي يعن

ي الصندوق ويسمى أيضا "النردشير"، كلها كلمات فارسية معّربة (الجاحظ، البخلاء، ص 72).

الخاتمـــة:

من خلال ما سبق نخلص إلى النتائج التالية:

1. احتكاك اللغات من المصطلحات التي يتداولها علم اللغة الحديث، غير أن هذه المفاهيم اهتدي إليها في الدراسات العربية اللغوية القديمة، من خلال ذلك التنوع اللغوي الذي وسم اللهجات العربية، وظهر في ذلك التعالق الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، الذي نشأ بين اللغة العربية ولغات الأعاجم.
2. الجاحظ عالم لغوي اجتماعي محنّك، عارف بالألسن التي طبعت عصره، مدرك سمات كل طبقات المجتمع، لذلك تجده يميز بين العادات الكلامية الخاصة بالعربي والفارسي والسندي والنبطي...
3. كان منهج الجاحظ في عرضه لفكرة تفاعل الألسن فيما بينها منهج استقراء للخصائص اللغوية التي تميز الجماعات الكلامية في عصره، فهو الخبير بالعادات الكلامية، والصفات النطقية للطبقات الاجتماعية على اختلاف أعراقها و ثقافاتها، والمنصهرة في مجتمع واحد.
4. إن عدم الكفاءة في أداء لغة ثانية يؤدي حتما إلى فساد اللسان، وشيوع اللحن وظهور اللكنة.
5. اللغة العربية لغة حية تفاعلت مع لهجاتها من جهة، ومع مثيلاتها من الفصيلة ذاتها أو من فصائل أخرى، من جهة أخرى، فأثرت وتأثرت، وأخذت وأعطت.
6. رغم ما لحق اللسان العربي من فساد وانحراف عن مألوف كلام العرب جراء اتصال العرب بالأعاجم، غير أن اللغة العربية لا زالت تحافظ على رصانة أسسها، وسلاسة مستوياتها.

الإحالات والمراجع:

1- autre, d. e. (2012). dictionnaire de linguistique et des sciences de langage. paris.-1

2- التواب ,ر .ع .(1997) .المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي .القاهرة :مكتبة الخانجي.

3- التواب ,ر .ع .(2000) .لحن العوام .القاهرة :مكتبة زهرة الشرق.

4- الجاحظ .(1965) .الحيوان .القاهرة :مكتبة الخانجي.

5- الجاحظ .(د.ت) .البخلاء .القاهرة :دار المعارف.

6- الجاحظ.(د.ت) .البيان والتبيين .القاهرة :مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع.

7- الرافعي ,م .ص .(د.ت) .تاريخ آداب العرب .مصر :مطبعة الأخبار.

8- القاسمي ,ع .(2010) .التداخل اللغوي والتحول اللغوي .

9- المسدي ,ع .ا .(1986) .اللسانيات وأسسها المعرفية .تونس :الدار التونسية للنشر والتوزيع.

10- أمين ,أ .(1961) .ضحى الإسلام .القاهرة :دار مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

11- خليل ,ح .(2003) .دراسات في اللسانيات التطبيقية .مصر :دار المعرفة الجامعية.

12- سليم ,ع .ا .(1989) .اللحن في اللغة ومقاييسه .القاهرة :دار المعارف.

13- عويس ,م .(1977) .المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ .القاهرة :دار الثقافة للطباعة والنشر.

14- فندريس .(2014) .اللغة .المركز القومي للترجمة.

15- كوراني ,أ .(2013) .اللغة والمجتمع عند الجاحظ .بيروت :المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

16- مبارك ,م .(1995) .معجم المصطلحات الألسنية الحديثة انكليزي /عربي .بيروت :دار الكتاب اللبناني.

17- مذكور ,ع .(1987) .علم اللغة بين التراث والمعاصرة .القاهرة :دار الثقافة للنشر والتوزيع.

18- نهر ,هـ .(1988) .علم اللغة الأجتماعي عند العرب .بغداد :الجامعة المستنصرية.

20- وافي ,ع .ع .(2004) .علم اللغة .مصر :نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.